المجلس التاسع عشر

وقف الإسكان الخيريّ

المجلس التاسع عشر

وقف الإسكان الخيريّ

السكن نعمة عظيمة ينعم الله بها على الإنسان قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ [النحل: ٨٠] ففي البيت يسكن الإنسان ويستقر ويستتر عن غيره، وفي البيت يأوي وينام، وفي البيت يأكل ويطعم، وفي البيت يربي أولاده، ويكرم ضيفه، ويقوم بحاجته، فالبيت نعمة عظيمة.

وجاء في الحديث الصحيح قوله ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا في سربه معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»(١).

ففي قوله ﷺ: «آمنًا في سربه» إشارة إلى نعمة المسكن التي هي من ضرورة الحياة لكل مخلوق على وجه الأرض فالإنسان يسكن في بيته، والطير في عشه ووكره والحيوان في غابته أو حظيرته.

وكان حقًّا على من أنعم الله عليه ووسّع له في الرزق والخير ألا ينسى إخوانه المسلمين المحتاجين من المعونة والصّلة والإحسان، وإن من شكر الله ﷻ على نعمة المال وسعة الرزق والمسكن الطيب أن يقوم المسلم على إخوانه المسلمين ويتلمس حاجاتهم، ولعل من أعظم الحاجات في هذا الزمن المعاصر حاجة السكن، حيث أصبح السكن يشكل عبئا ثقيلا على الإنسان لاسيما في هذا العصر المادي الحديث الذي ارتفعت فيه أسعار الأراضي رغم توفرها وكثرتها وأصبحت الحياة الاجتماعية أكثر تعقيدًا، والالتزامات المالية أعلى كلفة مما استوجب التكافل بين أفراد المجتمع والمؤسسات الخيرية والبنوك والجهات

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٠٠)، وابن ماجة (١٣٨٧)، وحسنه الألباني.

التجارية لأجل توفير المسكن اللائق بالإنسان المسلم.

لقد حضّ الرسول الكريم ﷺ على وقف الدور للسكنى فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :«إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا علمه ونشره، وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا ورّثه أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته»(١).

ولم يزل أهل الإسلام على مرّ العصور يعتنون بتوفير حاجة المسكن لمن لا يستطيعه من الفقراء وأبناء السبيل وطلبة العلم والمغتربين والمنقطعين، وأوقف كثير من أصحاب رسول الله ﷺ دورهم للسكنى في مكة والمدينة والطائف وغيرها، وتتابع على ذلك خلفاء الإسلام فأوقفوا المساكن للفقراء والخانات ودور الضيافة للمسافرين والمغتربين، وجاء أن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ﷺ أمر بعمارة الخانات على طريق الحاجّ في خرسان –شرق الدولة الإسلامية–حيث كتب إلى واليه في خرسان –سليمان بن أبي السّري– أن اعمل الخانات في بلادك فمن مرّ بك من المسلمين فأقروهم يوما وليلة وتعهدوا دوابهم فمن كانت به علة فأقروه يومين وليلتين فإن كان منقطعا فأقروه بما يصل إلى بلده(٢).

وتحكي لنا كتب التاريخ ما أوقفته المحسنة «أم قاسم المرادية» في المغرب حيث أوقفت ثروتها لبناء محطات التزود بالزاد والماء والاستراحة للحجيج ولدوابهم حيث وجد أنه في كل بلد من مدينة «آسفي» بالمغرب إلى مكة المكرمة دار من طابقين طابق لاستراحة الحجاج وتزويدهم بالأكل والدواء وطابق للدواب لأكلها واستراحتها ودوائها، كما يتم استبدال الدواب وتعويض ما مات منها عن طريق الأوقاف، وقد تم تشييد هذه المحطات

(١) أخرجه ابن ماجة (٢٤٢)، وحسنه الألباني.

(٢) الوقف والتنمية الاقتصادية للباحوث ص١٤٨.

«الفنادق» على بعد كل ٥٠ كيلومترًا تقريبًا عبر الطريق التالي: المغرب- الجزائر- تونس- ليبيا- مصر- فلسطين -سوريا -الجزيرة العربية مرورًا بالمدينة ومكة واستمرت إلى عهد قريب[١].

كما تنوعت صور المساكن الوقفية وتعددت خدماتها وأسماؤها:

فالخانات[٢] ودور الضيافة للمسافرين والمنقطعين: وغالبا ما تبنى في الصحراء على طرق السفر وتبنى على هيئة قلاع وحصون حماية لها من اللصوص، وكانت منتشرة في طرق السّفر بين عواصم البلاد الإسلامية وتقدم فيها الخدمات بالمجان وتدار بالأموال الوقفية.

أما مساكن الفقراء فكانت تهيأ لهم ويعدّ فيها الطعام والماء وكانت في وسط البلدان.

أما الرّبوع فهي عبارة عن مساكن تبنى بغرض وقفها وتؤجر ويستفاد من أجرتها في أوقاف أخرى وهي تمثل في حدّ ذاتها وعاءً استثماريا للوقف.

أما التكايا فهي مباني ذات طراز معماري خاص مخصصة لمن لا يستطيع التكسب من العجائز وكبار السن والأرامل والأيتام وهي مكونة من حجرات ومسجد صغير ودورات مياه ويعدّ فيها للنزلاء وجبات الطعام اليومية وتكون داخل البلدان ... وتتعدد أسماء مثل هذه المساكن وتختلف على مرّ عصور الإسلام كالأربطة والتكايا والملاجئ ودور المسنين والوكالات وغيرها[٣].

وإن من المشاريع المميزة في الوقف الإسكاني ما اقترحه سماحة الإمام الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ حول إنشاء إسكان خيري للمحتاجين، وقدّم الاقتراح لأمير الرياض في حينه -خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز حفظه الله- الذي

---

(١) المرأة والوقف -التجربة المغربية لخديجة مفيد ص١٦٦.

(٢) جمع خان وهي كلمة أعجمية تدل على الفندق في عصرنا الحديث، وهي موضع راحة المسافرين.

(٣) الوقف والعمران الإسلامي، د. نوبي محمد حسن ص١٦٣ وما بعدها.

تبنى هذا المقترح وأنشأ مشروع «سلمان بن عبد العزيز للإسكان الخيري»[١] ويهدف هذا المشروع إلى توفير الإسكان المجاني للمحتاجين من الأيتام والأرامل والعجزة وكافة الفئات المحتاجة، كما أقام للمشروع أوقافا تدرّ عليه، ويقوم -أيضًا- باستثمار حساباته البنكية وفق الضوابط الشرعية والاقتصادية، واستفاد -بفضل الله- من خدمات هذا المشروع عشرات الآلاف من المواطنين على مرّ العشرين سنة الماضية.

كما قام مجموعة من المحسنين وكبار التجار بإقامة مشاريع مشابهة يقوم بعضها على تمليك المستفيدين عين العقار وبعضها يمكّن المستفيد من العقار مدّة من الزمن ما دام محتاجا إليه ثم ينقل إلى غيره بعد استغنائه عنه.

وما أعظم صور التكافل بين المجتمعات فهي تبني مجتمعًا متحابًّا متعاطفًا يرحم فيه القويُ الضعيف ويجود فيه المحسنُ على المحتاج وهو بذلك -أي المحسن- يقدم لنفسه الخير قال ﷻ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠].

وإن من الصور الجميلة التي يمكن أن يساهم بها المسلم في الوقف على الإسكان ما يلي:

* أن يساهم بماله في الجمعيات الرسمية المتخصصة التي تقوم على مثل هذه المشاريع النبيلة.
* أن يجعل المسلم شيئا من بيته كالملحق الخارجي أو سطح المنزل أو نحو ذلك وقفا في سبيل الله على المحتاجين أو المسافرين من أهل بلده أو لبعض أقاربه ونحو ذلك.

---

(١) ينظر: موقع المشروع على الشبكة العنكبوتية:

* ومن الصور أن يوقف المسلم منفعة بيته أو بعضه كشقة منه أو ملحق بحيث يؤجره وينفق غلته أو إيجاره في أبواب الخير والمعروف.
* ومن الصور أن يوقف مُلّاك الأراضي وأصحاب العقارات أملاكهم كمستودعات للجهات الخيرية، أو يوقف أصحاب العمائر ذات الشقق المتعددة هذه العمائر أو بعض شققها لله تعالى.
* ومنها إنشاء «عمائر وقف» لتزويج الشباب على أن يمكث الشاب فيه عشر سنين -مثلًا- ثم يغادره بعد أن يستغني عنه ليستفيد منه غيره وهكذا ...